الوفد البرلماني الفرنسي في ضيافة المركز الوطني للفنون البصريّة

الوطن

قام الوفد البرلماني الفرنسي، أثناء وجوده مؤخراً في سوريّة، بزيارة المركز الوطني للفنون البصريّة بجامعة دمشق، جرى خلالها حوار شامل وعميق، بين أعضاء الوفد الذي يضم (إلى جانب البرلمانيين) كتاباً ومثقفين وإعلاميين، وبين مدير المركز الأستاذ الدكتور غياث الأخرس، طال مناحي فنيّة وثقافيّة عديدة، من بينها القطيعة القائمة اليوم، بين الدول الأوروبيّة وسوريّة، وانعكاساتها السلبيّة على الثقافة القديمة- الجديدة المتجذرة بين ضفتي المتوسط، التي طالما جسّرت لعلاقات محبة وازدهار وتعاون وسلام بين شعوبها. وقد أبدى الوفد دهشته وإعجابه بصالة عرض المركز ومحتوياتها من فنون الرسم والتصوير والنحت والحفر المطبوع، وقام عدد من أعضائه باقتناء بعضها. وهذه الأعمال (كما أكد البرلماني الفرنسي نيكولا دويك) تدل على أن قوة الحياة أقوى بكثير من قوة الموت، وبالتالي فهي تعكس رغبة الشعب السوري في الحياة والتطور والعيش بسلام، متمنياً على الفنانين السوريين الشباب التواصل عبر أعمالهم الفنيّة مع العالم، لأن لبلدهم تاريخاً وحضارة كبيرين، وهذا ما ذهب إليه (جوليان غوشيدي) عندما أكد أنه قرأ كثيراً عن الحضارة السوريّة، وبأنه معجب بثقافة الشباب السوري. وقد أكد أعضاء الوفد أن هذه الحالة السوريّة الثقافيّة الحضاريّة الرفيعة النابضة بالحياة وإرادة التحدي والبقاء، ستكون مثار نقاشات، وموضوع حوارات، بينهم وبين مواطنيهم الذين يجب أن يطلعوا على حقيقة هذه الإنجازات الحضاريّة السوريّة العظيمة، مشيرين إلى أن محتويات المركز المتنوعة والعائدة لأكثر من جيل في الحركة التشكيليّة السوريّة المعاصرة (لاسيّما الأعمال العائدة للفنانين الشباب المشاركين في ورشات العمل التي لا تغيب عن المركز) والتقنية الحديثة والمتطورة التي نُفذت فيها مرافقه، جعله يتقدم ويتفوق على ما لديهم من مراكز مماثلة، بل يبزها شكلاً ومضموناً، مؤكدين أن بلداً مُحاصراً بالحروب والدمار والمؤامرات، ويجابه كل هذا الإرهاب الدولي الشرس، ويتمكن في الوقت نفسه من إنجاز مرفق كهذا متخصص بإنتاج وعرض فنون بصريّة بهذه القيمة والمستوى، جدير بالنصر، ويستحق التحيّة والاحترام والتقدير والحياة.

في ذكرى رحيله أبو عنتر بدأ من مسرح محمود جبر

ناجي جبر... عفويّة أبو عنتر كرسته كركتراً شعبيّاً

عامر فؤاد عامر

ترك بصمته في ذاكرة الجمهور بمحبة، من خلال اجتهاده وزملائه في ارتياد ساحة الفنّ أولاً، وتمهيد سبل وطرق الوصول إليها، فكان بجدارة من أبناء الرعيل الأوّل، عمل في المسرح في البداية، فكان في رصيده عدد منها، بين فرقة «محمود جبر» مثل: «صياد وصادوني»، و«طارت البركة»، و«سراديب الضائعين» وفي فرق مسرحيّة أخرى فيما بعد توافرت لديه المقدرة ليرسم ملامح شخصيّة «أبو عنتر» الكوميديّة التي عرفها الجمهور وأحبها بين قوتها وقسوتها وملامح الرجولة التي اندمجت بملامح الفنان « ناجي جبر» ليكرسها فيما بعد في عدّة أعمال تلفزيونيّة، وسينمائيّة، وإذاعيّة، فكان أحد الشخصيات التي رافقت الفنان «دريد لحام» في شخصيّة «غوار الطوشة»، والفنان «نهاد قلعي» وشخصيّة «حسني البورزان»، وبذلك كانت هذه المحطة الفنيّة الأبرز في حياته أي شخصيّة «أبو عنتر» التي أخذ بسببها شهرته وصيته الفني، إلا أنه قدّم نفسه بنجاح فيما بعدة بأعمال كثيرة، منها أعمال البيئة الشاميّة، مثل «أيام شاميّة» عام ١٩٩٢، و«أهل الراية» ٢٠٠٨.

تعلّم في المسرح

ولد الفنان «ناجي جبر» في تاريخ ٢٦ تشرين الأول عام ١٩٤٠ في مدينة شهبا جنوب سورية، وكان له نصيب في التجربة الفنيّة من خلال شقيقه الأكبر الفنان «محمود جبر» الذي ترك رصيداً لا يستهان به من الأعمال المسرحيّة، فبدأ مسيرته الفنيّة مع نهاية الستينيات معه، ويمكن القول إنه البوابة الحقيقيّة للفنان «ناجي جبر» ولاسيما أن مبادئ التمثيل كسبها هنا على هذه الخشبة قبل الانطلاق بأي خطوة أو تجربة أخرى، فقدّم مع شقيقه عدداً من المسرحيّات، وإضافة للتي ذكرناها في المقدمة كانت مسرحيّات: «النهب» و«عشّك يا بلبل»، وغيرها. ومن المسرحيّات التي شارك فيها أيضاً: مسرحية « حفلة سمر من أجل ٥ حزيران» عام ١٩٧٠ و«مغامرة رأس المملوك جابر» عام ١٩٧٢.

ومضات وجدانيّة

آمن بالمسرح كثيراً وكان متيقناً بأن لغة المسرح هي الباقية والمؤثرة في الوجدان، ولو حدث أن مرّت بحالة من الركود، ومن أقواله عن المسرح وإيمانه به اقتطفنا من أحد حواراته الفنيّة السابقة: «... المسرح إشارات وومضاتٌ وجدانيّة، وهو مدرسة كبيرة، ومنبر شريف، والمواطن اليوم؛ وفي ظل هذه التداعيات، بحاجة إلى ابتسامة من دون استجداء، وعلينا أنّ نبتعد عن البذاءة والتهريج والتسويف، نريد أن تكون الابتسامة في مكانها الطبيعي، ولا نريد أن ننتزع الابتسامة المغلّفة بالذهب...».

البداية... أبو عنتر

اشتُهر باسم «أبو عنتر» عندما شارك مع الفنان «دريد لحام» في مسلسل «صح النوم» في العام ١٩٧٤، وكان لهذه الشخصيّة طابعها القوي، الذي اتسم بمحبّة الجمهور لها واستقبالها بترحاب سواء في المسلسلات التي تلت «صح النوم» مثل «وادي المسك»، أو في المسرحيات مثل «يا خرابي من حليب أبو عنتر»، والأعمال السينمائيّة مثل «أبو عنتر بوند»، والأعمال الإذاعيّة مثل «يوميّات أبو عنتر»، وعندما سُئل عن شخصيّة «أبو عنتر» التي تجسّد صفات القبضاي كانت إجابته: «القبضاي بمعناها الحقيقي وبالتعبير الشعبي الدمشقي تعني المُحب للآخرين والذي لا يصمت عن حقه أبداً، وليس القبضاي شخص مفتعل للمشاكل، وبالنهاية أنا ممثل أقدّم كلّ الأدوار ولا ألعب فقط دوراً شعبيّاً». من الملاحظ هنا أيضاً أن كثر هم الممثلون الذين حاولوا تقليد هذه الشخصيّة أو ما يشابهها ضمن فلك «القبضاي» إلا أنها لم تظهر بصد وعفويّة شخصيّة «أبو عنتر» التي برع فيها الفنان القدير «ناجي جبر» من خلال تطويرها بصفات شكلانيّة كالزيّ الدمشقي الذي اختاره الشخصية وأخرى كلاميّة مثل «باطل»، و«مالها فكاهة»، وغيرها من الكلمات، ويبدو أن هذا الكاركتر قد عاش أكثر على الرغم من تراجع حضوره في بعض الأعمال التي كان من المتوقع بالنسبة للمتلقي تقبلها أكثر كما في «ملح وسكر» بالتالي كانت حاضرة بقوّة ترافق محبّة المشاهد في أعمال مثل «غوار الطوشة» و«عودة غوار» فيما بعد.

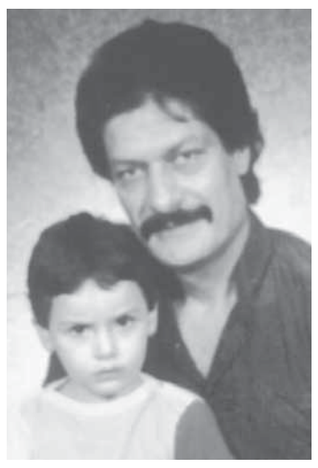

مع ابنه مضر

جولة في التلفزيون

حصيلته في التلفزيون جاءت عبر أكثر من ٥٠ مسلسلاً نذكر منها: مسلسل «ملح وسكر» عام ١٩٧٣ ومسلسل «وين الغلط» ١٩٧٩ والتي ظهر فيهما من خلال شخصيّة «أبو عنتر» إضافة إلى «صح النوم»، وفيما بعد جاء بمسلسلي «عودة غوار» عام ١٩٩٩ و«يوميّات أبو عنتر» في العام ١٩٩٦، أمّا باقي المسلسلات فجاءت بشخصيّات متنوّعة كالعاشق، ورجل الأعمال، والمجرم، وضابط الأمن وغيرها مثل مسلسلات: «أولاد بلدي» في العام ١٩٧١، و«الرهان» في العام نفسه أيضاً، وصولاً إلى مسلسلات أكثر حداثة مثل «عربيّات» و«أبو المفهوميّة» في العام ٢٠٠٣، و«عالمكشوف» في العام ٢٠٠٤، و«غزلان في غابة الذئاب» عام ٢٠٠٦، و«رجل الانقلابات»، و«أسير الانتقام» في العام ٢٠٠٧.

في الأعمال البيئيّة

ما يميّز تجربته في التلفزيون هو الدور الذي جسّده في مسلسل «أيام شاميّة» للمخرج «بسام الملا» فكان «سيف» البطل، والمقاوم، ضدّ الاحتلال العثماني، ونجح في منح هذه الشخصيّة أبعادها في الرجولة، والتضحيّة، وتحقيق النصر، على الرغم من قسوة الظروف، وتفوق العثماني في أسلحته، ومن بعدها يمكن القول إنه كسر حدود شخصيّة «أبو عنتر» التي لازمته فترة طويلة في عدد من المسلسلات، والأفلام السينمائيّة، التي سنذكرها أيضاً، وأيضاً لا بدّ من ذكر المسلسلات الشاميّة التي شارك فيها لاحقاً مثل: «الخوالي» للمخرج «بسام الملا» في العام ٢٠٠٠ والمسلسل الكوميدي «حارة الطنابر» في العام نفسه، ومسلسلات «أهل الراية» للمخرج «علاء الدين كوكش»، و«أولاد القيمريّة» من إخراج «سيف الدين سبيعي»، و«الحصرم الشامي» أيضاً لـ«سيف سبيعي» في الجزء الثاني في العام ٢٠٠٨ ونهايةً بمسلسل «بيت جدّي» للمخرج «رشاد كوكش» فكان ختام أعماله الفنيّة قبل أن توافيه المنيّة.

مع نجوم السينما

تبلغ حصيلة أعماله في السينما أكثر من ثلاثين فيلماً سينمائياً توزّع إنتاجها وتصويرها بين سورية ومصر ولبنان، ومن الملاحظ أن تجربة هذا الفنان كانت كبيرة من خلال الاشتراك بالأعمال العربية فعاصر وشارك الفنانة «شادية» في أعمال جمعتهما و«نجاة الصغيرة» و«ميرفت أمين»، و«محمود عبد العزيز»، و«يسرا»، وأسماء لامعة من الوطن العربي، ومن أفلامه بالمجمل نذكر: « أبو عنتر بوند »، « عودة حميدو» في العام ١٩٧١، و«غوار جيمس بوند» في العام ١٩٧٤، و«الجائزة الكبرى» في ١٩٧٤، و«الاستعراض الكبير» ١٩٧٥، و«العندليب» ١٩٧٥، و«غراميّات خاصّة» والتي ظهر فيها جميعها في شخصيّة «أبو عنتر» أيضاً.

سينما بين المحليّة والعربيّة

أمّا باقي الأفلام فكانت شخصيّاتها التي جسدها متنوعة مثل: فيلم «غزلان» ١٩٦٩، و«السكين» و«جسر الأشرار» في العام ١٩٧١، و«هاوي مشاكل» وفاتنة الصحراء ١٩٧٤، فيلم «شقّة ومليون مفتاح» وفيلم «مقلب حبّ» ١٩٧٢، و«الحسناء وقاهر الفضاء»، و«صح النوم» ١٩٧٥ و«صيد الرجال»، و«أموت وأحبك مرتين» الذي نال شهرة ومتابعة جماهيرية كبيرة ١٩٧٦، و«عشاق على الطريق» عام ١٩٧٧، وفيلم «شيطان الجزيرة» ١٩٧٨، وفيلم «شباب حارة العناتر» ١٩٨٠، و«امبراطورية غوار» ١٩٨٢، «أحلام المدينة» ١٩٨٤، فيلم «باسمة بين الدموع» ١٩٨٦، وفيلم «زواج على الطريقة المحلية» ١٩٨٧، وفيلم «سواقة التاكسي» عام ١٩٨٩، وفيلم «صعود المطر» ١٩٩٥.

وأيضاً

يذكر أن الفنان القدير «ناجي جبر» من مؤسسي نقابة الفنانين في سورية، ينتمي لأسرته الفنيّة المؤلفة من شقيقيه الفنان «محمود جبر» والفنان «هيثم جبر» وهو عمّ الفنانتين «ليلى جبر» و«مرح جبر» واليوم يسعى ابنه الفنان «مضر جبر» لتقديم نفسه في الوسط الفنّي ضمن تجاربه المتاحة. توفي الفنان «ناجي جبر» في دمشق في ٣٠ آذار من العام ٢٠٠٩، وذلك إثر إصابته بمرض السرطان.

«سيف» في أيام شاميّة منحته حضوراً متجدداً

مع دريد لحام

سيف «أيام شامية»

نافذة

هل يمكن الحدّ من التعصب؟!

للتعصب (Fanaticism) عشرات النظريات والتفسيرات وأضعافها من التعريفات والتحديدات، بعضها يركز على جانب أو عامل محوري ومركزي كالوضع الاقتصادي أو الطبقي أو الاجتماعي (الانسحاق الطبقي والتهميش مثلاً)، وبعض آخر يلجأ إلى التفسيرات النفسية (البسيكولوجية) أوالسلوكية- التربوية، أو مسألة البيئة وما تفرضه على الفرد أو المجموعة من ولاءات دينية أو طائفية أو قومية أو عرقية، في مواجهة بيئة أو بيئات أخرى.. وغير ذلك من تفسيرات وتأويلات ومقاربات. ولكل نظرية مؤيدوها ونقادها في آن واحد: المؤيدون والأنصار يجمعون الأدلة والبراهين و«الاستبيانات» على صدقيتها وموثوقيتها ودقتها العلمية.. إلخ، في حين يقوم نقادها والرافضون لها بحشد أكبر عدد من الحجج والمعطيات والبراهين، التي تؤكد أخطاءها وفشل نتائجها وتهافت أسسها ومرتكزاتها العلمية والموضوعية.

طبعاً ليس في نيتنا استعراض أي من هذه النظريات أو الاجتهادات المتناقضة أحياناً، أو التي تتكامل في أحيان أخرى.

ما يهمنا في هذا الحيّز المحدود أن نشير إلى قلق نحسبه مشروعاً وواقعياً من ارتفاع منسوب التعصب بأشكال وتجليات عديدة، لا مجال لتجاهلها أو إهمالها أو التقليل من شأنها وأهميتها ومخاطرها. فالتعصب قبل كل شيء هو غلوّ في التعلق بشخص أو فكرة أو مبدأ أو عقيدة أو جماعة، بحيث لا يدع مكاناً للتسامح وتقبل الاختلاف والآخر، وقد يؤدي إلى العنف والعنف المتبادل بين الفئات والجماعات وكذلك بين الأفراد، وحتى بين مجموعات معينة وأغلبية المجتمع في أوقات ولحظات حرجة.

وقد توصل عدد كبير من دارسي هذه الظاهرة إلى حقيقة مفادها، أنه من النادر أن نجد سبباً وحيداً مسؤولاً عن التعصب بمفرده. فالتعصب بوصفه ظاهرة اجتماعية بالدرجة الأولى، موجود بمختلف المجتمعات، لكن محاوره وتوجهاته وموضوعاته تتحدد بظروف ونوعية وطبيعة هذه المجتمعات ومشاغلها الأساسية. وحتى الشخص الواحد قد يمر بظرف معين أو بضغط عدد من العوامل المتداخلة، فيجد نفسه في وضع متشدد أو متعصب لهذا الموقف أو ذاك، لهذه الرموز أو تلك، كما في حالة تعرض وطنه لعدوان الخارجي من دول مجاورة، أو الإساءة المتعمدة لرموز بلده القومية والوطنية والتاريخية والتراثية والحضارية.

والحقيقة أن عملية الحدّ من التعصب، وإيجاد الوسائل الفعالة لمواجهته ومحاصرته، هي مسألة صعبة، ولكنها ضرورية، وغير مستحيلة من وجهة نظرنا. فنحن من مؤيدي الرؤية القائلة إن التعصب بوصفه ظاهرة بشرية خالصة تنتمي إلى العلاقات بين الجماعات، يمكن أن يعالج بطرق وأساليب متعددة، يأتي في مقدمتها الاتصال المباشر بين الجماعات، ودراسة ما يصدر عنها من أفكار ورؤى وتصورات ومعتقدات ومواقف، والوقوف على ما يقلقها ويخيفها ويدفعها للانطواء على ذاتها أو اتخاذ وضعيات دفاعية أو هجومية تجاه الآخرين، فعلماء النفس والاجتماع (ولاسيما المتخصصون منهم بعلم النفس الاجتماعي) يعتقدون أن أفضل الطرق لخفض مستوى التعصب يتمثل بجعل الجماعات تتعايش معاً وتختلط فعلاً، ووضعها في مواقف تستطيع كل جماعة من خلالها أن تتعلم المزيد عن الجماعة الأخرى، وأن تستطيع كل جماعة أن تنمي روابط دائمة مع الأخرى. حيث بينت البحوث والدراسات أن زيادة الاتصال بين الأفراد والجماعات تخفض من التعصب والتفكير النمطي السلبي عن الجماعة أو الجماعات الأخرى.

وقد وجد الباحثون المتخصصون أن الاتصال الفعال هو الذي يقوم على التعاون والاعتماد المتبادل بين الجماعات والأفراد، ولكن انطلاقاً- وقبل كل شيء- من المساواة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، إذ لن ينجح أي اتصال قائم على تفوق جماعة منهما على الأخرى، أو فوقية التعامل لأي سبب كان.

وأشار العلماء إلى أهمية أن يتحقق الاتصال بشكل غير رسمي (دون تقيد بشكليات أو جدول أعمال محدد). فمن خلال الدمج في العمل والوظيفة والمدرسة والمعهد والجامعة، سيسعى كل شخص (بدرجات متفاوتة طبعاً) إلى معرفة زملائه بصورة أعمق، حيث يشكل هذا التعارف التلقائي عنصراً أساسياً وحاسماً في الاتصال والتواصل والمعرفة الأقرب للواقع.

في موازاة هذا التصور، ركز باحثون آخرون على دور البرامج التربوية الكبير في تعميق ونشر اتجاهات التسامح والوئام والاحترام بين الشعوب والأعراق والجماعات والعناصر ذات التكوينات المختلفة. فإذا كانت الأفكار النمطية والمعتقدات الخاطئة التي تمثل جوهر التعصب، قائمة على خطأ وتشويه المعرفة، فإن التعرف على الوقائع الفعلية ربما يساعد في عملية تخفيض التعصب، على الأقل لدى المستويات التعليمية المرتفعة.

إضافة إلى وسائل أخرى من شأنها الإسهام في خفض مستويات التعصب بين الجماعات، يأتي على رأسها، منح الأفراد فرصة موضوعية وحقيقية للتعبير عن آرائهم بحرية وصدق، بدلاً من اقتصار ذلك على أفراد قليلين ومحددين.

إضافة لما تقدم يؤكد عدد من الباحثين الاجتماعيين على دور التنشئة الأسرية ومستوى وعي الوالدين في تربية الأبناء على التسامح والانفتاح على زملائهم وأترابهم من بيئات اجتماعية أو دينية أو إثنية مختلفة. كما يشار في هذا السياق إلى الأهمية الكبرى للزواج الحر (المدني) ما بين الأسر والجماعات المنتمية لأديان وعقائد، وقوميات وإثنيات ومذاهب وطوائف مختلفة، فمن شأن ذلك كسر الحواجز الموروثة والأفكار والمفاهيم المغلوطة المتبادلة، وخلق نوع من القرابات الجديدة القائمة على الحب والتعاطف، والوئام، والاندماج الاجتماعي، والاحترام المتبادل.

د. خلف الجراد